جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الفلسفة الإسلامية
الدراسات العليا

التصوف الإسلامي وإيجابية الشخصية المسلمة

إعـــــداد

خالد عثمان حمدامين /العراقي

أكملت الماجستير في دار العلوم- قسم الفلسفة الإسلامية

طالب دكتورا في جامعة يوزنجوييل

قسم التفسير وعلوم القرآن

kahldkurd@yahoo.com

٢٠١٣م مصر- القاهرة- بين السريات

مقدّمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على السراج المنير، سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

اختياري لموضوع :**(التصوف الإسلامي وإيجابية الشخصية المسلمة) بسبب ما تعانيه البشرية** من أزمات الروحية والنفسية على مستوى الفرد والمجتمع، ومن ثم على مستوى الحضارة في مفهومها الواسع، تضربها في الصميم وتجعلها عرضة للقلق الساحق، ليدعوها بإلحاح واستعجال إلى إعادة النظرالشاملة في أنساق القيم التي توجه سلوكها وتغذي نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان.

ثم اخترت المنهج الموضوعي لهذا البحث وهو اختيار عنوان او موضوع ثم البحث فيها بموضوعية والتعليق عليها واختيار ما يناسبه من كتب والتراث التصوف الاسلامي ،سواء كان من تعريف التصوف الاسلامي ، اوالشخصية المسلمة ، اورسول الله ﷺ في التراث التصوف الاسلامي ،وزهدهم وورعهم ، وجهادهم في سبيل الله ....الخ

وأهمية التصوف الإسلامي يكون بحقيقته وهو مجاهدة النفس وكبح جماحها والابتعاد عن الشهوة ودفع إغراءاتها....ثم تنقية القلب وتصفية الحس مما يرين من أدران الهوى التي تبعد المرء من ربه وتسلك به طرقا ملتوية كلها شرور وآثام، ونشأ هذا التصوف من حياة التقشف والزهد والتقوى التي كان يحياها المسلمون في حياتهم الأولى والتي كانوا يتخذون فيها النبي ﷺ مثلهم الأعلى الذين يحتذون به ويسيرون على هداه.

ثم واجهة عدة صعوبات **أولا:**بالتوفيق بين العنوان البحث:**(التصوف الإسلامي)** والمقطع الثاني:**(إيجابية الشخصية المسلمة)** لان كل واحد يحتاج إلى فكرة في صياغة البحث، **وثانيا :** جمع المراجع التصوف الإسلامي وهومن التراث القديم وتطبيقه على الشخصية الإسلامية في الواقع الذي نعيش فيه حتى نرى الايجابية بشكل عملي ،ونرى أثر التصوف الاسلامي بشكل واضح.

ولاشك يوجد دراسة سابقة كثيرة عن هذا الموضوع في التراث القديم والحديث وخاصة عن المقامات والأحوال والزهد،والمجاهدة، والورع والاخلاق والتصوف الاسلامي ،وعلامائهم ومؤلفاتهم لاسبيل لنا في حصره وخاصة في هذا الموضوع .

واقتضت بحثي الخطة التالية:في تميهد وبابين :

الباب الأول :**الفصل الأول**:تعريف التصوف الإسلامي،وايجابية الشخصية المسلمة

والفصل الثاني: شخصية الرسول محمد ﷺ في التراث الصوفي .

الفصل الثالث : العبادة عند الصوفية وأثرها على الفرد،

الفصل الرابع : حاجة المجتمع والفرد المعاصر للتربية الصوفية .

الباب الثاني:

الفصل الأول : التقوى والورع كنموذج واثرهما على الشخصية المسلمة .

الفصل الثاني : الأخلاق والسلوك عند الصوفية.

الفصل الثاللث:إيجابية التصوف في صناعة العلماء والمجاهدين

وفي النهاية تأتي الخاتمة سردت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال كتابتي لهذا البحث. وفي الاخير ...

(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) [١].

الباحث

١- **سورة :آل عمران : الاية٨ .**

تمهيد

التصوف الاسلامي كان له اثر طيب على الشخصية الاسلامية في حياتها اليومية حينما نرى كان الزهد والتقوى والمجاهدة غاية المسلمين القصوى في حياتهم الروحية، فلقد كان الرسول ﷺ يؤثر التقشف في ملبسه ومأكله ويعكف على العبادة والتهجد ويأخذ نفسه بالتقوى والصبر والشكر والخوف....ويأمر الناس أن يتبعوه في كل هذه الفضائل الخلقية كي تصغو نفوسهم وينقى حسهم ويعمر قلوبهم بالإيمان واليقين.

وكان الصحابة يتبعون الرسول الله ﷺ في حياته وأحواله فكانوا يتقشفون في مأكلهم وملبسهم ويعرضن عن الدنيا،وكان عارفين بمعنى الزهد والورع، والتقوى وكان النبي ﷺ بينهم ، وحياة التابعين كانوا على مسلك الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الامر.

وفي القرن الثالث وبعده وخاصة عصرالاموي أصبح الملوك والامراء في غاية البذخ والترف في الحياة،وابتعدوا عن المعاني الروحية في اللاسلام، واهتموا بالفقه وعلم الكلام ، وناصرهم الامراء في ذلك .

وظهرالتصوف الاسلامي في هذه الفترة وأدرك خطورة الوضع في إقامة العبادات بانواعها بدون روح وخشوع وخضوع والاهتمام بصور الاشياء لاباطنه، لذلك نرى التصوف الاسلامي اهتم بهذا الجانب الروحي في حياة المسلم ، وكتبوا في ذلك مؤلفات عديدة بل أصبح لهم علماء ومريدون يلتفون حولهم، لما لهذا الجانب الروحي والاطمئنان النفسي على حياة الناس أثر كبير.

و التصوف الاسلامي عبر تاريخه كان له الاثر الطيب على الشخصية المسلمة ،من جميع مجالات سواء كان من تاليفاتهم ، أو من تربية العلماء على أيديهم اومن جانب الاخلاق اوقواعد السلوك وغيرها، الذي لا أستطيع عرضه في بحث متواضع صغير ولكن هذا غيظ من فيظ.

وحين نرى حياة البشرية اليوم التي يتعرض لأبشع أزمات أخلاقية ، ونفسية ،وروحية كبيرة،وامراض كثيرة كالحسد ، والغيبة ، والحقد.... إنما هونتيجة أبتعادناعن حياة الروحية التي جاء الاسلام لها ، وخاصة في هذا العصر المادي وعصر العولمة ، وعصر ألانحلال الاخلاقي ، وانيهار الاسروالمجتمعات. والحل يكون برجوعنا الى ديننا الحنيف الذي أهتم بجانب الروحي كثيرا ، والتصوف الاسلامي وكتبهم ومؤلفاتهم خير دليل لنا في مجال قواعد السلوك والزهد والورع لكى نخرج الناس من هذا الواقع الاليم على جميعالاصعدة....ونعبرهم الى البرو والامان ونجعهلم شخصيات نافعة في مجتماعتهم .

الباب الأول

الفصل الأول :تعريف التصوف الإسلامي -وايجابية الشخصية المسلمة

الفصل الثاني : شخصية الرسول محمد ﷺ في التراث الصوفي .

الفصل الثالث : العبادة عند الصوفية وأثرها على الفرد

الفصل الرابع : حاجة المجتمع والفرد المعاصر للتربية الصوفية

الفصل الأول

تعريف التصوف الإسلامي ـ وإيجابية الشخصية المسلمة

١ـ تعريف التصوف :

في البداية نعرف الكلمات المهمة في عنوان البحث ونبدأ بتعريف التصوف كي نعرف دلالته في الاصطلاح وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعريفه، كما اختلفوا في أصله واشتقاقه، فنحاول جاهدا أن نأخذ التعريف الذي تفيدنا في بحثنا بعيدا عن الخلافات في التعريف واشتقاقه: فيقول الجرجاني (رحمه) في تعريفاته :" **التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا فيرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين .....وإتباع رسول الله ﷺ في الشريعة،... وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرغ**".[١]

معروف الكرخي عرفه بمايلي:(**التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق**)[٢] .

الجنيد وقد عرفه بما يلي فقال: (**التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة**) [٣]. وقد عرفه أيضاً بما يلي فقال: (**التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة وإتباع الرسول في الشريعة** .[٤]

وكان السهل التستري (٢٧٣هـ) يقول (أصول مذهبنا ثلاثة :**الاقتداء بالنبي ﷺ عليه وسلم في الأخلاق والأفعال ،والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال** [٥].

وبناء على ذلك يقول أبن القيم (.....**والتصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتسعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومحبة فإن المرء مع من أحب**). كما يورد تعريفاً آخراً فيقول "والدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد في الدين وكذلك التصوف قال الكتاني: **التصوف هو الخلق فمن زاد في الخلق فقد زاد عليك في التصوف**[٦] .

١ـعلي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات الجرجاني ـالناشر : دار الكتاب العربي – بيروت-الطبعة الأولى ، ١٤٠٥تحقيق : إبراهيم الأبياري-عدد الأجزاء ١ ، باب التاء- ص٨٣.
٢ـ سهروردي :عوارف المعارف ص٦٢.
٣ ـالسابق ص٦٢.
٤ـكلاباذي: التعرف لمذاهب أهل التصوف، ،ص٣٤.
٥ـ نقلا عن كتاب : في التصوف الإسلامي ، د.حسن الشافعي ،.د. ابو اليزيد العجمي – طبعة دار السلام –.الطبعة الأولى ٢٠٠٧ص١٣.
٦ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله :مدارج السالكين ـالناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣تحقيق : محمد حامد الفقي ج: ٣ ص٣٦٣.

٢- إيجابية الشخصية المسلمة:

"عالج الإسلام معالجة كاملة لإيجاد شخصية معينة له مميزة عن غيريها. فعالج بالعقيدة أفكاره إذ جعل له بها قاعدة فكرية يبنى عليها أفكاره ، ويكون على أساسها مفاهيمه.فيميز الفكر الصائب من الفكر الخطأ حين يقيس هذا الفكر بالعقيدة الإسلامية ، وتكون له بذلك عقلية متميزة ، والشخصية المسلمة هو الذي يؤدي الفروض والمندوبات ويترك المحرمات والمكروهات ... والمهم في الحكم على الإنسان بأنه شخصية الإسلامية هو جعله الإسلام أساسا لتفكيره وأساسا لميوله"[١] .

لذلك إيجابية الشخصية المسلمة يجب أن يكون في أخلاقه وسلوكه ، وان التصوف الإسلامي عبر التاريخ لم ينسى هذا الجانب الروحي والسلوكي بل جعل من صميم منهجهم وهذا ما عرفنا من تعريفهم لتصوف الاسلامي في بداية الأمر، وكيف أنهم يقصدون الصفاء والنقاء على المستوى الروحي والأخلاقي حتى يكون الإنسان فردا ناجحا مع الله ومع الناس ويكون صالحا ومصلحا في حياته ويصل إلى مبتغاه في يوم لا ينفع مال و لا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

١ - تقي الدين النبهاني :الشخصية الإسلامية ،ج١ – ط٦- ٢٠٠٣ - دار الأمة للنشر والتوزيع ،ص ١٥-١٦.

الفصل الثاني

شخصية الرسول محمد ﷺ في التراث الصوفي

ولكي يكون بحثنا وافيا لمفهوم الشخصية الإسلامية في الحياة لزم علينا أن نبدأ بحياة رسول الله ﷺ لأنه خير دليل و معلم لنا ، في الزهد و الورع ،والحياة الروحية . وكان رسول الله ﷺ شاكرًا لأَنْعُمِ الله العظيمة التي وهبها اللهُ له وأحاطه بها؛ فقد كان واقع رسول الله ﷺ منسجمًا مع ما أعطاه الله تعالى من نِعَمٍ، فلم يكن شكر رسول الله ﷺ مجرَّد كلمات تقال، ولكنَّها كانت واقعًا حيًّا مَعِيشًا، فنرى رسول الله في سيرته راكعًا ساجدًا عابدًا لله تعالى، فاعلاً للخير، مسبّحًا بحمد الله، مُتَّبِعًا في ذلك الآيات القرآنيَّة التي تحضُّ على العبادة والحمد؛ منها قوله تعالى**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .**[1]

١. حقيقة عبادة رسول الله رسول الله ﷺ والصلاة:

كان رسول الله ﷺ يجد راحته في الإكثار من الصلاة وقراءة القرآن؛ فيروي حذيفة قائلاً: صلَّيْتُ مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلتُ: يركع عند المائة. ثم مضى، فقلتُ: صلَّيتُ مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ذاتَ ليلةٍ . فافتتح البقرةَ . فقلتُ : يركع عند المائةِ .ثم مضى . فقلتُ : يصلي بها في ركعةٍ .فمضى . فقلتُ : يركع بها . ثم افتتح النساءَ فقرأها. ثم افتتح آلَ عمرانَ فقرأها . يقرأ مُترسِّلًا .إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّحَ .وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل .وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذَ .ثم ركع فجعل يقول "سبحانَ ربيَ العظيمِ "فكان ركوعُه نحوًا من قيامِه .ثم قال "سمع اللهُ لمن حمدَه "ثم قام طويلًا .قريبًا مما ركع .ثم سجد فقال "سبحان ربيَ الأعلى فكان سجودُه قريبًا من قيامِه) .قال (وفي حديثِ جريرٍ من الزيادةِ : فقال " سمع اللهُ لمن حمده .ربَّنا لك الحمدُ ".[2]

وكان رسول الله ﷺ يُكثر من قيام الليل؛ لما فيه من الخلوة بينه وبين ربِّه ؛ لذلك قال عنه رسول الله ﷺ" :أفضلُ الصيامِ بعد شهرِ رمضانَ شهرُ اللهِ المُحرَّمُ وإنَّ أفضلَ الصلاةِ بعد المفروضةِ صلاةُ الليلِ ".[3]

ومن شِدَّة حُبِّ رسول الله لقيام الليل كان يقضيه ﷺ في الصباح إذا فاته لأمر ما؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت ..." :وكان نبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا صلَّى صلاةً

١- سورة الحج:الآية: ٧٧ .

٢- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ) -المحقق / المترجم :محمد فؤاد عبدالباقي الناشر :دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه -الطبعة :الأولى -سنة الطبع١٣٧٤ :هـ رقم الحديث:(٧٧٢).

٣-سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني -المحقق / المترجم :عزت عبيد الدعاس ،الناشر :دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة :الأولى -سنة الطبع١٣٨٩ :هـ أبو داود:(٢٤٢٩)، .

أحبَّ أن يُداوِمَ عليها .وكان إذا غلبه نومٌ أو وجَعٌ عن قيامِ الليلِ صلَّى من النهارِ ثِنتي عشرةَ ركعةً.[١]

وهذا الحُبُّ العميق لعبادة الله -خاصَّة الصلاة- يُفَسِّر أيضًا قول رسول الله ﷺ لبلال بن رباح رضي الله عنه :"قُمْ يَا بِلالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلاةِ"[٢] .ويقول رسول الله ﷺ في حديث آخر" :وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ[٣] " ولا غَرْوَ أنَّ نِعم الله وعطاياه وفضله تستتبع حمدًا جزيلاً، وهو ما كان يقوم به رسول الله ﷺ؛ فكان لسان رسول الله ﷺ دائمًا رطبًا بذِكْرِ الله وحَمْدِه على نِعمه وأفضاله.

" سألتُ عائشةَ عن صلاةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، عن تطوَّعِه ؟ فقالت :كان يصلي في بيتي قبلَ الظهرِ أربعًا .ثم يخرج فيصلي بالناسِ .ثم يدخل فيصلي ركعتَين .وكان يصلي بالناس المغربَ .ثم يدخل فيصلي ركعتَين .ويصلي بالناس العشاءَ .ويدخل بيتي فيصلي ركعتَين .وكان يصلي من الليلِ تسعَ ركعاتٍ .فيهنَّ الوترُ .وكان يصلي ليلًا طويلًا قائمًا .وليلًا طويلًا قاعدًا . وكان إذا قرأ وهو قائمٌ ، ركع وسجد وهو قائمٌ .وإذا قرأ قاعدًا ، ركع وسجد وهو قاعدٌ .وكان إذا طلع الفجرُ ، صلَّى ركعتَين . ".[٤]

٢-رسول الله والصوم:

ونرى رسول الله ﷺ في الصوم يَزِيدُ البذلَ والعطاء، وفي العشر الأواخر من شهر رمضان يتعهَّد نفسه بمضاعفة العبادة، فقد روت عائشة -رضي الله عنها- فقالت" :كَانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا دخل العشرُ شدَّ مِئْزَرَهُ، وأحيا ليلهُ، وأيقظَ أهلهُ . " .[٥]

كذلك، كان رسول الله ﷺ مواظبًا على صيام الاثنين والخميس، وقد ذكر عِلَّة ذلك بقوله" : تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم" [٦] . وكان رسول الله ﷺ يحبُّ الصيام في الهواجر[٧] وفي الأيام شديدة الحرّ؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال " :خرجْنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في شهرِ رمضانَ في حَرٍّ شديدٍ .حتى إن

١-الحسين بن مسعود البغوي -المحقق / المترجم :علي محمد معوض و عادل أحمد عبدالموجود،الناشر :دار الكتب العلمية -الطبعة :الأولى -سنة الطبع :١٤١٢هـ). رقم الحديث:(٤٨٧/٢).

٢-أبو داود: (٤٩٨٥).

٣- :محمد بن مفلح (الجد) المحقق / المترجم :شعيب الأرناؤوط و عمر القيام الناشر :مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة :الأولى -سنة الطبع :١٤١٦هـ وقال شعيب الأرناءوط: إسناده حسن. رقم الحديث (٣٨٢/٢)

٤ - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول ﷺ)، المحقق / المترجم :محمد فؤاد عبدالباقي،لناشر :دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة :الأولى -سنة الطبع :١٣٧٤هـ ر(٧٣٠).

٥ - محمد بن إسماعيل البخاري :الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه ، -المحقق / المترجم : محب الدين الخطيب الناشر :المكتبة السلفية - القاهرة -الطبعة :الأولى -سنة الطبعة١٤٠٠ :هـ ار (٢٠٢٤).

٦ -محمد بن عيسى بن سورة الترمذي -: جامع الصحيح - سنن الترمذي - المحقق / المترجم :أحمد بن محمد شاكر الناشر :دار الكتب العلمية -الطبعة :بدون -سنة الطبع .رقم الحديث (٧٤٧)،.

٧- الهواجر: جمع الهاجرة، وهي اشتدادُ الحرّ نصفَ النهار. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة هجر ٢٥٠/٥.

كان أحدٌ لَيضعُ يدَه على رأسِه من شِدَّةِ الحَرِّ .وما فينا صائمٌ ، إلا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ ".[١]

ويقول صاحب قوت القلوب"وأفضل الصيام ما كان في الأشهر الحرم ، وأفضل ذلك ما وقع منها ، وهو المحرم وذو الحجة .وبعد ذلك ما كان في شعبان ، فان رسول الله ﷺ كان يكثر الصيام فيه حتى يصله بشهر رمضان . ولايدع ان يصوم كل شهر ثلاثة ايام ، وليواظب على صوم الاثنين والخميس . وفي الخبر: (أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم).[٢]

وهكذا كان رسول الله ﷺ يتعامل مع قضيَّة العبادة من منطلق الشكر لا الفرض فقط، ومن منطلق البذل والتطوع والزيادة لا أداء الواجب؛ ممَّا أعطى عبادته شكلاً متميّزًا باهرًا في صورته.

وفي ذلك علمنا أن الرسول الله ﷺ كان شخصية الإسلامية بامتياز فيه جميع صفات الكمال والجمال وأن التصوف الإسلامي أخذوا عن رسول الله ﷺ وشخصيته كثيرا ونستدل ببعض أقوالهم حتى يكون هناك ربط في بحثنا بين التراث التصوف الإسلامي ، و تأثيره على الشخصية الإسلامية ، فمثلا يقول :

يقول الجنيد : (**الطرق كلها مسدود على الخلق إلا من أقتفى أثر الرسول ﷺ ..من لم يحفظ القران ، ويكتب الحديث لا يقتدى به في الأمر ،لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة)** .[٣]

ويقول ابو الحمزة البغدادي: (**من علم الطريق الى الله سهل عليه سلوكه ، و لا دليل على الطريق الى الله إلا متابعة الرسول في أحواله وأقواله وأفعاله)** .[٤]

ويقول أبو الطالب المكي : "من علامات التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير قصد لها ، وصرف المعاصي عنك مع الطلب لها ، وفتح باب اللجا والافتقار إلى الله عز وجل في الشدة والرخاء في كل الأحوال ...ومن علامات الخذلان ثلاث :"تعسر الخيرات عليك مع الطلب لها ، ودخول المعاصي عليك مع الهرب منها ، وغلق باب للجا والافتقار إلى الله عزوجل وترك الدعاء في كل الأحوال ."[٥]

---

١ - مسلم: (١١٢٢) .

٢ - الطالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب –ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد ،تحقيق د.محمود إبراهيم ألرضواني .مكتبة دار التراث ط.الأولى ٢٠٠١- ج١ص٢٢٠.

٣- امام ابي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري-الرسالة القشيري – دار الكتب العلمية- بيروت-٢٠٠١م ، ص٣١.

٤ - السابق :ص٤١.

٥ - الطالب المكي :قوت القلوب- تحقيق د.محمود إبراهيم ألرضواني .مكتبة دار التراث ط.الأولى ٢٠٠١-ج١،ص١٩٢.

الفصل الثالث

العبادة عند الصوفية وأثرها على الفرد

نرى في حياة الصوفية العبادة كثيرا باعتبارها تعنى طاعة الله سبحانه وتعالى والتزام شرع الله سواء كان البدنية كالصوم والصلاة ، او طاعات أخرى كالصدق وألا خلاص ، فكل ذلك يدخل في إيجابية التصوف الإسلامي وأثرها على الفرد، لان عبادة الله بأنواعها كل يدخل في صلب حياة الفرد المسلم وصلاحه ، لذلك المتصوفة لم يتركوا هذا الجانب.

وكما يقول الله تعالى : **(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)**[١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**سبعةٌ يظلُّهم اللهُ يومَ القيامةِ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه : إمامٌ عادلٌ ، وشابٌ نشأَ في عبادةِ اللهِ ، ورجلٌ ذكر اللهَ في خلاءٍ ففاضت عيناه ، ورجلٌ قلبُه معلقٌ في المسجدِ ، ورجلان تحابا في اللهِ ، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ إلى نفسِها فقال : إني أخافُ اللهَ ، ورجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُه ما صنعتْ يمينُه**) [٢] .سمعت الأستاذ أبا **علي الدقاق** ، رحمه الله ن يقول :العبودية أتم من العبادة .فالأول :عبادة ، ثم عبودية ، ثم عبودة . فالعبادة لعوام من المؤمنين ، والعبودية للخواص ، و العبودة لخاص الخاصّ ... ثم يقول الذنون المصري: (**العبودية :ان تكون أنت عبده في كل حال ، كما انه ربك في كل حال**). [٣]

فنرى شقيق بن إبراهيم البلخي يقول: " **سبعة أبواب يسلك بها طريق الزهاد: الصبر على الجوع بالسرور لا بالفتور، بالرضا لا بالجزع، والصبر على العرى بالفرح لا بالحزن، والصبر على طول الصيام بالتفضل لا بالتعسف، كأنه طاعم ناعم، والصبر على الذل بطيب نفسه لا بالتكره، والصبر على البؤس بالرضا لا بالسخط، وطول الفكرة فيما يودع بطنه من المطعم والمشرب، ويكسو به ظهره من أين، وكيف، ولعل، وعسى. فإذا كان في هذه الأبواب السبعة فقد سلك صدرا من طريق الزهاد وذلك الفضل العظيم**". [٤]

وأيضا يقول أبا الدقَّاق يقول :ليس شيء أشرف من العبودية ، ولا أسم أتمَّ للمؤمن من الاسم له بالعبودية ، ولذلك قال سبحانه في وصف النبيﷺ ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته في الدنيا :**(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**

---

١ ـ سورة: الحجر :الآية ٩٩.

٢ ـأخرجه البخاري –رقم الحديث (٦٨٠٦)

٣ ـ امام ابي القاسم بن هوزان القشيري ـالرسالة القشيري –.دار الكتب العلمية بيروت-٢٠٠١م ص٢٢٢-٢٣٣

٤ـ أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ ج٨ –ص١٣٧٥ الناشر: السعادة ـ مصر نبذة عن الكتاب ـ :تصوير مكتبة الخانجي ودار الفكر-١٩٩٦ ـ ١٤١٦الفهارس طبعة: دار الفكر

الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [1] فلو كان أسم اجل من العبودية لسماه به .[2]

قال رجل للفضيل: كيف أصبحت يا أبا علي؟ فكان يثقل عليه كيف أصبحت وكيف أمسيت، فقال:" في عافية، فقال: كيف حالك؟ فقال: عن أي حال تسأل؟ عن حال الدنيا أو حال الآخرة؟ أن كنت تسأل عن حال الدنيا فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب، وأن كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه، وضعف عمله وفنى عمره، و لم يتزود لمعاده، ولم يتأهب للموت، و لم يخضع للموت، و لم يتشمر للموت، ولم يتزين للموت، وتزين للدنيا، هيه. وقعد يحدث يعني نفسه واجتمعوا حولك يكتبون عنك، بخ فقد تفرغت للحديث، ثم قال: هاه وتنفس طويلا"

ويقول أيضا: عاملوا الله عز وجل بالصدق في السر، فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد. [3]

هذا جانب من أقوالهم العامة في الصبر وخوفهم من الله سبحانه وتعالى، ومحبة الله سبحانه وتعالى ، والخوف من الآخرة .فإذا أتنقلنا إلى عبادة كالصلاة وجدنا الحرص البالغ على إقامتها وتجويدها كما كلف الله سبحانه وتعالى عباده قيل لحاتم غلام شقيق: علام بنيت علمك؟ قال: على أربع، على فرض لا يؤديه غيري فأنا به مشغول وعلمت أن رزقي لا يجاوزني إلى غيري فقد وثقت به وعلمت أني لا أخلو من عين الله طرفة عين فأنا منه مستحي، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فأبادره." [4]

" ثم كان سفيان الثوري يصلى قبل الزوال فمر بهذه الآية **(فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ)** [5] فخرج نادا فما لحقوه إلا في الحمراء فردوه " [6]

---

١ - سورة :الإسراء – الآية :١
٢ - الرسالة:القشيري -٢٣٤
٣ -أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الناشر: السعادة مصر،الخانجي ودار الفكر- -١٩٩٦– ج -ص ١٣٩١.
٤ - نفس المرجع ،ج٨ – ص١٣٨٢ .
٥ - سورة: المدثر :الاية ٨-٩.
٦- عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج :صفة الصفو- دار المعرفة – بيروت- الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ – ١٩٧٩ تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي عدد الأجزاء : ٣ج-ص١٤٨

الفصل الرابع

حاجة المجتمع والفرد المعاصر للتربية الصوفية

البحث عن أ الشخصية المسلمة و التربية في عصرنا الحالي لجدير بأن يُربط بالتصوف؛ فهو العلم الذي يهتم بالجانب التربوي والروحي في النفس الإنسانية، ويمدها بطاقة وجدانية تحرره من نزوات المادة وشهوات النفس، وتطهيرها من الأغيار والأكدار وتحليتها بالأنوار والأسرار، فتتحقق به المحبة الإلهية التي تجعل صاحبها ينظر بعين الرضا والرحمة والعطف والمودة...

والذي قال فيه الجنيد البغدادي سيد الطائفتين: **"التصوف اجتناب كل خلق دني، واستعمال كل خُلق سني"**،[1] **وقال عنه الكتاني: "التصوف أخلاق، فمن زاد عليك في الأخلاق، زاد عليك في التصوف"**.[2]

فمن المعلوم أن عصرنا هذا يعد بامتياز عصر الأزمات الأخلاقية؛ فهو عصر الشهوة والنزوة والمادة، والانحراف الخلقي والفراغ الروحي. وقد أصبحت الحاجَة اليوم ملحة إلى التصوف، ولكن بمسميات أخرى: كالتزكية، والسلوك، والتربية... فهي قضية مصطلحات ولا مشاحة عند أهل العلم في الاصطلاح ،ولنا أن نتساءل عن حاجة العصر والمجتمع الراهن إلى تربية صوفية صحيحة وسليمة ذات أصول قرآنية ونبوية؛ الحقيقة القلبية

يقول الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات: "قالوا: «**إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال**»، وهذا الكلام يقضي بأن لابد في تحصيله من الرجال"،[3] وهذا المعنى لا يتأتى إلا مع العلماء الربانيين من الصوفية الكرام أهل التربية والتزكية والسلوك؛ لذلك قال ابن القيم الجوزية في المدارج: **"التصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب"**.[4]

وفي هذا يقول أبو الحسن الندوي في كتابه **"ربانية لا رهبانية"** متحدثا عن الدور الذي يجب أن يلعبه التصوف في عصرنا الراهن، يقول: "أنظر إلى بلاد ضعفت فيها الدعوة إلى الله والربانية وتزكية النفوس من زمان، ندر فيها وجود الدعاة إلى الله وتجديد الصلة بالله وإصلاح الباطن بنفوذ الحضارة الغربية أو للقرب من مركزها أو بفعل عوامل أخرى، إنك لا تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه التبحر في العلم ولا التعمق في التفكير، ولا فضل من ذكاء،

---

١ - أبو نصر السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ)،:اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص: ٢٩٦.

٢ - الرسالة القشيرية،، ط٢، بيروت، ١٩٩٠م، ص: ٢٤٢. ٣٢٠

٣ - الموافقات للشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٧، ٢٠٠٥م، ٦٤/١.

٤ - مدارج السالكين، ٣٠٧/٢.

ولا غنى من أدب ولا نسب قريب بلغة الكتاب والسنة، ولا نعمة من استقلال، إنها أزمة روحية وخلقية لا علاج لها، ومشكلة من أدق مشكلات المجتمع لا حل لها، فالدهماء والشعب فريسة المادية الرعناء، ونهامة المال العمياء والأمراض الاجتماعية والخلقية، والمثقفون - الثقافة الدينية أو المدنية- فريسة الحرص على الجاه والمنصب، والأمراض الباطنية من حسد وشح ورياء وكبر وأنانية، وحب الظهور ونفاق ومداهنة، وخضوع للمادة وللقوة. والحركات الاجتماعية والسياسية تفسدها الأغراض وعدم تربية النفوس وضعف القادة. والمؤسسات يفسدها الخلاف والشقاق وقلة الشعور بالمسؤولية والتفكير الزائد في المادة وزيادة الرواتب.

والعلماء يضعف سلطانهم اهتمامهم الزائد بالمظاهر وخوفهم من الزائد من الفقر، وسخط الخاصة والعامة واعتيادهم الزائد للحياة الرخية الناعمة. ولا علاج لكل ذلك إلا في (التزكية النبوية)، التي نطق بها القرآن وبُعث لها الرسول ﷺ، وفي (الربانية) التي طولب بها العلماء في قوله تعالى: **(لَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ)**. [1] إنني لا ألح على منهاج خاص من التزكية درج عليه جيل من أجيال المسلمين، واشتهر في الزمن الأخير بالتصوف...، ولكن لا بد أن نملأ هذا الفراغ الواقع في حياتنا ومجتمعنا، ونسد هذا المكان الذي كان يشغله الدعاة إلى الله والربانية والمشتغلون بتربية النفوس وتزكيتها وتجديد إيمانها وصلتها بالله، والدعوة إلى إصلاح الباطن، والعناية بالفرد قبل المجتمع...". [2]

"وبدون الاستفادة من التجربة الصوفية قد لا نستطيع أن نعالج الكثير من أمراض النفس البشرية التي عقدتها مسيرة الحياة وطبيعة العصر، فكما أن الكثير من المسائل اليومية احتجنا للإجابة عليها لرأي الفقيه، فإن الكثير من المسائل العقلية والروحية والنفسية نحتاج فيها لتجربة المجرب وسالك هذا الطريق". [3]

وبذلك يبقى الحديث عن التربية الصوفية واثرها في وقتنا الراهن أمرا ملحا، والحاجة إليها ضرورة ، لأنها الكفيلة بتوجيه الإنسان نحو طريق الهداية والسمو الأخلاقي والرقي في مدارج السالكين...

١- سورة :أل عمران ألآية ٧٩.
٢-أبو الحسن الندوي ربانية لا رهبانية :دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص: ٢٣-٢٥.
٣- سعيد حوى تربيتنا الروحية، ، دار عمار، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص ص: ١٨-٢٠.

الباب الثاني

الفصل الأول : التقوى والورع كنموذج واثرهما على الشخصية الاسلامية

الفصل الثاني : الأخلاق والسلوك عند الصوفية

الفصل الثاللث:إيجابية التصوف في صناعة العلماءوالمجاهدين

الفصل الأول
التقوى والورع كنموذج واثرهما على الشخصية المسلمة

نتحدث في هذا الفصل عن الدور التقوى والورع في حياة الفرد وأثرها على الشخصية المسلمة. التقوى والورع له حيز كبير في حياة التصوف الإسلامي من خلال تطبيقه العملي ونرى بتأكيد ذلك له تأثير كبير على حياة المسلم في إصلاح الفرد لان التغيير والإصلاح يبدأ من الداخل ويصبح سلوكا وعملا بعد ذلك ،وكتب التصوف الاسلامي و حياة المتصوفة مليئة بالأمثلة على ذلك مثل الصدق والإخلاص والشكر والمجاهدة والمقامات والأحوال والخوف من الله ، والتواضع والتوبة وكثير و كثير ولكن نكتفي بعرض شيء ولو يسير حتى يتبين لنا منهجهم في الإصلاح النفسي والاخلاقي .

١.**التقوى:** يقول الجرجاني (رحمه الله) :في تعريفه-"بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية وعند أهل الحقيقة هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد به الترك والحذر **"**.[١]

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات:"والوقاية حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره، يقال وقيت الشئ أقيه وقاية ووقاء، قال: (فوقاهم الله - ووقاهم عذاب السعير - وما لهم من الله من واق - مالك من الله من ولى ولا واق - قوا أنفسكم وأهليكم نارا) والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفا حسب تسمية مقتضى الشئ بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه..." [٢]

أقوال العلماء الصوفية في التقوى :

يقول سهل **: (التقوى مشاهدة الأحوال على قدم الانفراد معناه :أن يتقي مما سِوى الله سكونا إليه و استحلاء (استجلاء) له) وفي قوله تعالى ٠(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[٣].**

---

١ - الجرجاني :التعريفات: ج١ باب التاء : ص٩٠.
٢ - أصفهاني :غريب القرآن – ج١ ، ص٥٣١ .
٣ - سورة :التغابن :الآية :١٦.

وقال تعالى :**(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**[١]. أي بجميع استطاعتكم . قال سهل (ما استطعتم إظهار الفقر والفاقة إليه)، قوله تعالى: **(لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ)**[٢]. قال :(هو التبري وهو الإخلاص) قال غيره : **(أصل التقوى مجانبة النهي ومباينة النفس ، فعلى قدر ما فاقهم من حظوظ أنفسهم أدركوا اليقين)** [٣].

٢.الــورع : وكما عرفه السيد الجرجاني (رحمه الله): **(هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات وقيل هي ملازمة الأعمال الجميلة)** .[٤] "الورَعُ في الأَصل الكَفّ عن المَحارِمِ والتحَرُّجُ منه وتَوَرَّعَ من كذا ثم استعير للكف عن المباح والحلال ".[٥]

" الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب : ((الرسالة)) والسهروردي في كتاب : ((عوارف المعارف)) وأمثالهم وجمع الغزالي - رحمه الله - بين الأمرين في كتاب : ((الإحياء)) فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك ". [٦]

ولتوضيح معنى الورع نبين مراتبه التي يسعى طالب الكمال أن يتحقق بها :

فورع العوام: هو ترك الشبهات حتى لا يتردى في حمأة المخالفات، اتباعاً لإرشاد رسول الله ﷺفي قوله: **"سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقول : وأهوى النعمانُ بإصبعَيه إلى أُذُنَيه : إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ وبينهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس فمنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ استبرأ لدِينِه وعِرضِه ، ومن وقع في الشُّبهاتِ وقع في الحرامِ ، كالراعي يرعى حول الحِمى يوشكُ أن يرتعَ فيه ، ألا وإنَّ لكلِّ ملكٍ حمًى ، ألا وإنَّ حمى اللهِ محارمُه ، ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صلُحتْ صلُح الجسدُ كلُّه وإذا فسدتْ فسد الجسدُ كلُّه ألا وهي القلبُ..."** [٧]

وورع الخواص: ترك ما يكدر القلب ويجعله في قلق وظلمة. فأهل القلوب يتورعون عما يهجس في قلوبهم من الخواطر، وما يَحيك في صدورهم من الوساوس ؛ وقلوبهم

---

١ - سورة :الحجرات :الآية ١٣.
٢ - سورة: الحج :الآية ٣٧ .
٣ الكلاباذي: التعرف لمذاهب التصوف :١١٦ .
٤- الجرجاني :التعريفات – ص٣٢٥.
٥ - ابن منظور: لسان العرب – ج٨- ص ٢٨٨
٦ - صديق بن حسن القنوجي - القنوجي أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٧٨تحقيق : عبد الجبار زكار٣ /٣٣٣
٧ - محمد بن علي بن دقيق العيد :الإلمام بأحاديث الأحكام - :المحقق / المترجم :حسين إسماعيل الجمل الناشر :دار المعراج - الرياض -الطبعة :الأولى -سنة الطبع١٤١٤ :هـ ر (٨١٨/٢)

الصافية أعظم منبه لهم حين يترددون في أمر أو يشكُّون في حكم ؛ كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" [١]
وبقوله: " فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ " **البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ .والإثمُ ما حاك في نفسِك ، وكرهتَ أن يَطَّلِعَ عليه الناسُ** . " [٢] وفي هذا يقول سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك فاتركه) **وورع خاصة الخاصة:** رفض التعلق بغير الله تعالى، وسدُّ باب الطمع في غير الله تعالى، وعكوف الهمم على الله تعالى، وعدمُ الركون إلى شيء سواه، وهذا هو ورع العارفين الذين يرون أن كل ما يشغلك عن الله تعالى هو شؤم عليك.قال الشبلي رحمه الله تعالى: (الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله) [٣]

فضله:مما سبق يتضح أن الورع صفة جامعة لكل خصال الكمال، فلقد دخل الحسن البصري رحمه الله مكة فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوقف عليه الحسن وقال:(**ما ملاك الدين ؟ فقال: الورع، قال: فما آفة الدين ؟ قال: الطمع. فتعجب الحسن منه، وقال: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة)**[٤] .
ولأهمية الورع، ورفعة منزلته، وعلو شأنه، وعظيم أثره، أشارإليه الرسول الله في أحاديث **كثيرة،نورد هنا بعضها:-**
١- وروي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان ؛ خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل** " [٥].

٢- مر النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة في الطريق ، **قال : لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها** ." [٦].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسنُ بنُ عليٍّ تمرةً من تمرِ الصدقةِ .**فجعلها في فِيه . فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ " : كِخ كِخ .ارْمِ بها .أما علمتَ أنا لا نأكلُ الصدقةَ ؟ " . وفي روايةٍ " : إنا لا تَحِلُّ لنا الصدقةُ ؟ " . وفي روايةٍ : أنا لانأكلُ الصدقةَ ؟ "** [٧] .

وإن السادة الصوفية إذ يتحققون بمراتب الورع المتسامية، إنما يحيون لنا ذكر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وكان يقول: (**كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في**

١- محمد ناصر الدين الألباني :الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة،الناشر :المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة :الثانية -سنة الطبع١٤٠٠ :هـ رقم ١٦٩/٣.
٢ - مسلم رقم الحديث (٢٥٥٣).
٣-الرسالة: القشيرية ص.١٤٧
٤- السابق ص ١٤٩ .
٥- محمد ناصر الدين الألباني :ضعيف الترغيب والترهيب،المحقق / المترجم :بدون الناشر :مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة :الأولى -سنة الطبع :١٤٢١هـ رقم الحديث -١٠ ص-٢٩٨.
٦ - رواه البخاري رقم الحديث(٢٤٣١).
٧- رواه مسلم رقم الحديث (١٠٦٩) .

باب من الحرام) وحُملَ إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم، فقبض على مشامِّه وقال: (**إنما يُنتفعُ من هذا بريحه، وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين)** .[١]

فما نهج الصوفية في ورعهم إلا اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، وأثر من آثار حبهم لله تعالى وتمسكهم بهديه، ونتيجة لخوفهم الشديد من أن يقعوا في مخالفة لله تعالى. لأن من ذاق طعم الإيمان أكرمه الله بالتقوى، ومن تحقق بالتقوى كان عن الشبهات متورعاً، ومن الله تعالى خائفاً ولفضله راجياً كما قال الكرماني:**(علامة التقوى الورع، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات، وعلامة الخوف الحزن، وعلامة الرجاء حسن الطاعة)**[٢] .

الفصل الثاني

الأخلاق والسلوك عند الصوفية

الأخلاق والفضائل جزء من كيان هذا المجتمع وجزء كبيرفي التراث التصوف الإسلامي. والتصوف الاسلامي في القرنين الثالث والرابع كان علمًا للأخلاق الدينية ، فقد كانت هذه السمة أحد سمات التطورطريق الصوفي فى هذه الفترة وكان أساس الأخلاقى لطريق الصوفى حديثه الخاص به ،ومن الطبيعي أن ترتبط الناحية الأخلاقية للتصوف لهذا العهد بالكلام في النفس الإنسانية وتصنيف قواها، وبيان آفاتها وأمراضها وطريق الخلاص عنها.

وإن مبحث الأخلاق عند الصوفية وقتئذ كان قائمًا على أساس تحليل النفس الإنسانية لمعرفة أخلاقها الذميمة، والتكمل الخلقي عندهم يكون بإحلال الأخلاق المحمودة عندهم محل الأخلاق الذميمة.

يقول القشيري في رسالته: «**وإنما أرادوا -أي الصوفية- بالنفس ما كان مَعْلُولًا من أوصاف.العبد، ومذمومًا من أخلاقه وأفعاله. ثم إن المَعْلُولَاتِ من أوصاف العبد على ضربين، أحدهما: يكون كسبًا له كمعاصيه ومخالفته. والثاني: أخلاقه الدنيئة –الفطرية- فهي في أنفسها مذمومة، فإذا عالجها العبد ونازلها تنتفي عنه بمجاهدة تلك الأخلاق**»-[٣]

وقد بين السهروردي البغدادي في (عوارف المعارف) ذلك الارتباط الوثيق بين علم الأخلاق وعلم النفس عند الصوفية، فيقول: «**إن الصوفية رُزِقُوا سائر العلوم التي أشار إليها المتقدمون. ومن أعز علومهم علم النفس ومعرفتها، ومعرفة أخلاقها**»[٤] ويقول الكلاباذي

١- رسالة القشيرية ص ١٥١ .
٢- أبي عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية تحقيق د.أحمد شرباصي ،الطبعة الثاني -١٩٩٨مكتبة الشعب _ص٦٢.

٣- الرسالة القشيرية: ص٤٤.
٤- سهروردي:عوراف المعارف جـ١، ص ٢٤٤.

في (التعرف): «**فأول ما يلزمه -أي يَلْزَمُ السالك لطريق الله- علم آفات النفس، ومعرفتها، ورياضاتها، وتهذيب أخلاقها**»[١]

الطريق الصوفى وعلم الأخلاق الدينية عند الحارث المحاسبى :ولعل من أوائل من تكلموا في هذه الناحية بشيء من التعمق الحارث بن أسد المحاسبي. وهو أحد الصوفية الذين جمعوا بين العلم، والشريعة، وعلوم الحقائق الصوفية. وهو بصري الأصل مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ [٢]، ووصفه الشعراني بقوله: «**هو من علماء مشائخ القوم بعلوم الظاهر، وعلوم الأصول، وعلوم المعاملات. له التصانيف المشهورة، عديم النظر في زمانه. وهو أستاذ أكثر البغدادين**»[٣] وهو مؤسس مدرسة بغداد الصوفية التي انتمى إليها الجنيد المتوفى سنة ٢٩٨هـ، وأبو حمزة البغدادي المتوفى سنة ٢٨٩هـ، وأبو الحسن النوري المتوفى سنة ٢٩٥هـ، والسري السقطي المتوفى سنة ٢٥٣هـ، وغيرهم. وقد سمي المحاسبي بهذا الاسم لمحاسبته لنفسه. وله عدة رسائل في التصوف تدور حول تحليل الحياة الروحية ، وإخضاع الأعمال والأفكار للنقد والاختيار لمعرفة مدى صدقها، ومراعاتها لحقوق الله.

وهكذا يُشِيدُ المحاسبي بالعقل من حيث إنه قادر على إدراك حكمة الأوامر والنواهي، ولكن لابد أن يقترن هذا العقل بالتخلق، وهذا –فيما يبدو- معنى قوله: «**لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر**»[٤]

ويفرق المحاسبي –أيضًا- بين العلم النظري بالإيمان، والعلم به مع العمل، كما يفرق بين العمل الظاهر بحركات الجوارح وعمل القلوب، قائلًا: «**العمل بحركات القلوب في مطالعات الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح**»[٥].

الطريق الصوفى وعلم الأخلاق الدينية عند السرى السقطى:ومن الصوفية الذين غلب عليهم الكلام في الأخلاق، والنفس، وآداب السلوك –أيضًا- السري السقطي. وكان تلميذًا لمعروف الكرخي، وهو «أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال»[٦] وهو إمام البغداديين توفى سنة ٢٥٧هـ. ومن أقواله في السلوك وتربية النفس: «أقوى القوة أن تغلب نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه، كان أدب غيره أعجز»[٧]

والواقع أن القرنين الثالث والرابع قد شَهِدَا وضع قواعد السلوك الصوفي، على نحو ما يشير إليه نيكولسون بقوله: «أما تقعيد القواعد، وتنظيم رسوم الطريق الصوفي، فإنك تَلْمَحُهُمَا واضحين كل الوضوح في أقوال مشائخ ذلك العصر أينما قَرَأْتَهَا. فإنهم قَسَّمُوا الطريق إلى سلسلة من المراحل، بل مَيَّزُوا بين أنواع مختلفة من الطرق. يقول يحيى بن معاذ الرازي المتوفى سنة ٣٥٨هـ: «**إذا رأيت الرجل يعمل الطيبات، فاعلم أن طريقه التقوى. وإذا رأيته**

١- كلاباذي: التعرف: ص٨٧.
٢- طبقات السلمي: ص٢١.
٣- الرسالة القشيرية: ص١٢.
٤- طبقات :السلمي: ص ٢٢.
٥ - السابق : ص ٢٢.
٦ -السابق: ص١٩.
٧- السابق: ص٢٠.

يُحَدِّثُ بآيات الله، فاعلم أنه على طريق الأبدال –الأولياء-. وإذا رأيته يُحَدِّثُ بآلاء الله، فاعلم انه على طريق المحبين. وإذا رأيته عاكفًا على ذكر الله، فاعلم أنه على طريق العارفين»[1]

ونكتفي بهذ القدر في هذا الفصل عن أقوالهم عن الاخلاق والاعمال الطيبة، ففي حياة التصوف الاسلامي امثلة كثيرة ولكن أكتفينا بهذا حتى لا أطيل في موضوع البحث بغرض عرض جانب من إيجابية التصوف الاسلامي وتاثيره على حياة الشخصية الاسلامية ، على المستوى الفرد والجماعة ، وبينوا لنا جميع فضائل الاخلاق ورذائلها. وفي الاخير أسال ؟.اليس ذلك من إيجابية التصوف الاسلامي الذي تركوا لنا تراث كبيرا من المؤلفات والاقوال والعلماء والعارفين بالله كانوا شعلة للناس في حياتهم ومن بعدهم وبينوا هذا الكم الكبير في قواعد السلوك والاخلاق الاسلامي ، وغيرها في مجال الحياة البشرية الروحية والنفسية .

الفصل الثالث

إيجابية التصوف في صناعة العلماءوالمجاهدين

في هذا الفصل نضع بعض اللمسات في حياة الصوفية لكي نعلم إيجابيتهم في الجهاد والعلم حيث يوجد أمثلة كثيرة على مثل ذلك الذين تربو في أحضان التصوف الاسلامية واصبحوا كبارعلماء وسادة المجاهدين في سبيل الله، ونسلط الضوء على حياة العملية لبعض الشخصيات الاسلامية لكى نعلم موقفهم من هذا **المفهوم العظيم:-**

١.الشيخ عزالدين ابن عبد السلام: سلطان العلماء

اسمه ومولده: هوالشيخ أبو محمد عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذّب السُلمى، الدمشقى، مغربى الأصل. شيخ الإسلام الملقَّب بسلطان العلماء، وُلد العزّ بن عبد السلام فى دمشق عام سبع وسبعين وخمسمائة (٥٧٧ هـ) ونشأ وتربى فيها، وزار بغداد فى عام(٥٩٩ هـ) ولم يقم فيها إلاَّ أشهرًا قليلة، ثم عاد إلى دمشق، وهاجر بعدها إلى مصر، فأقام بهاأكثر من عشرين عاماحتى وفاته عام (٦٦٠ هـ)[2].

صفته وعلمه: العز بن عبد السلام، فقيه مجتهد وداعية إسلامى،أشعرى العقيدة، شافعى المذهب، شاذلى الطريقة، كان عالما، زاهدا، ورعًا، متصوِّفًا، أمَّارًا بالمعروف، نَهَّاءً عن المنكر ناشرا للعلم،اشتهر باسم العزّ (أى عزّ الدّين) [3]

١- نقلاعن : د. أبوالوفا الغنيمي التفتازاني :عن مدخل إلى التصوف الإسلامي، ، القاهرة: مكتبة الثقافة للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٧٦م، (ص ١٢٣-١٢٨).

٢-السبكى (عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى):طبقات الشافعية الكبرى،ج٨، ص١٠٤؛

٣- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - سنة النشر: ١٣٨٧ - ١٩٦ عدد المجلدات: ٢ رقم الطبعة ١:، ج١، ص١٠١،٢،١ .

تصوفه: لامجال لأدنى شك، أن العز بن عبد السلام كان فقيهًا صوفيًّا، تشهد على ذلك جملة من تصانيفه، التى تناولت علوم التصوف على وجه الخصوص، مثل:شجرة المعارف والأحوال، ومختصر رعاية المحاسبى، ومسائل الطريقة في علم الحقيقة، بالله على الفقهاء، ما يجريه الله على أيديهم من كرامات، ولا يُجرى شيئًا منها على أيدى الفقهاء، إلا أن يسلكوا طريق العارفين، ويتَّصفوا بأوصافهم [١].

أولا: مواقف جهادية مشرقة ضد السلطان الجائر:

١- جور السلطان:

لَما تولى الملك الصالح عماد الدين إسماعيل حكم دمشق، استعان بالصليبيين لقتال ابن أخيه حاكم مصر الصالح نجم الدين أيوب، مما أدّى به إلى الصلح والتحالف مع الصليبيين وموالاتهم ؛وكاتب الفرنج، واتفق معهم على معاضدته ومساعدته، ومحاربة حاكم مصرالصالح نجم الدين أيوب، وفى سبيل ذلك، سلَّم لهم أرض الإسلام ليقوى بهم، ويعتضد بجيوشهم على أهله وإخوته،فبعث يطلب نجدات الفرنج، على أنه يعطيهم جميع ما فتحه السلطان صلاح الدين[٢]؛ كما أعطاهم سنة ٦٤١هـ بيت المقدس بما فيه من المزارات.وطبرية وعسقلان،فعمر الفرنج قلعتيهما، ووعدهم بجزء من مصر، إذا هم أعانوه على ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب [٣] .

٢-إنكار المنكر:

لماتحالف الصالح إسماعيل،مع الصليبيين، وتنازل لهم عن بعض المواقع والحصون، وسمح للناس ببيع السلاح لهم، أثار هذا الحدث المخزى، حفيظة سلطان العلماء، الذى اشتهر بأنه كان ورعاً، أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر، لا يخاف فى الله لومة لائم ؛ ومن ثمَّ أنكر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام هذا الفعل الشنيع من جانب الصالح إسماعيل إنكارًا شديدًا، ولم يرض هذه الخيانة منه، ولم يقبل منه تحالفه مع الصليبيين. واعتبره عملاً مخالفاً للشرع الإسلامى ؛ لأن الله تعالى نهى عن موالاة الكافرين. ، فأفتى الشيخ بتحريم بيع السلاح للفرنج،وشقَّ ذلك على الشيخ مشقَّة عظيمة، وقال:يحرُم عليكم مبايعتهم ؛ لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ؛ ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين[٤].

ثانيا: الموقف الجهادى الثانى "بائع الملوك و الأمراء" :

لما تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر، كان مهيباً، دبر المملكة على أحسن وجه، وعمر قلعة بالروضة، واشترى ألف مملوك وأسكنهم بها، وسماهم بالمماليك البحرية،

١- أبو محمد عز الدين عبدالعزيز(٥٧٨ - ٦٦٠هـ: كتاب الفتاوى)-المحقق :عبدالرحمن بن عبدالفتاح -الناشر :دار المعرفة - بيروت الطبعة :الأولى - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص١٣٩ وما بعدها.

٢- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية،مركز تحقيق التراث، القاهرة، ، ص٧٣.

٣-أبو الفداء:(الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ا بن على): المختصر فى أخبار البشر، تحقيق د/ محمد زينهم محمدعزب، الأستاذ/ يحي سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، ج٢ ص٤٨،٤٧٩.

٤- السابق ج١، ص٤٢٨.

وهو الذى أكثر من شراءالمماليك الترك، وجعل كثيرا منهم أمراء ؛ استعملهم فى خدمته وجيشه، وتصريف أمور الدولة،ولم يسلك أحد قبله ذلك المسلك [١].

الرجولة الإيمانية لسلطان العلماء:

فكر العز ابن عبد السلام فى أمرهؤلاء المماليك وفى حالهم، فلم يثبُت عنده أنهم أحرار، وأيقن أن حكمهم حكم الرقيق، وأن حكمَ الرِّق مستصحَبٌ عليهم لبيت مال المسلمين ؛ إذ هم فى الأصل عبيد، ومن ثمَّ لا يحق لهم ما يحق للأحرار ويجب شرعاً بيعهم كما يباع الرقيق، ووضع أموال بيوعهم فى بيت مال المسلمين.وعلى هذا الأساس، أفتى الشيخ أنه لا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ولا طلاق ولا معاملة، حتى يباعوا ويحصل عتقهم بطريق شرعى ؛ وأصر على ألا يمضى لهم بيعاً أو شراء، أو يَصَحِّحَ لهم نِكاحا، وأبطل تصرفاتهم ؛ لأن المملوك لا ينفُذُ تصرُّفُه شرعاً؛ فتعطّلت مصالحهم بذلك، واحتدم الأمر.[٢]

ثالثا: مواقف جهادية مشرقة لسلطان العلماء ضد الغزو المغولى:

عاصر العز بن عبد السلام أحداثا جساما،ففى سنة ٦٥٦هـ، اندفعت جيوش هولاكو كالجراد، فدمروا بغداد، التى كانت آنذاك عاصمة الدولة الإسلامية وحاضرة الدنيا، وألقيت المخطوطات والكتب فى نهر دجلة، حتى أسودّ ماؤه، وداهموا البلاد الشامية، ولم يبق من ديار الإسلام إلا مصر.وعظم خطرهم على العالم الإسلامى، وجَبَن الناس عن ملاقاتهم وحربهم.

لقد نال الجهاد أهمية بالغة فى وعى ووجدان الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ؛ فكان يدعو إليه، ويكتب عنه فى كتبه ورسائله، وجاءت مصنفاته زاخرة بالحديث عنه؛ فهو القائل فى رسالة الاعتقاد: " الجهاد ضربان: ضرب بالجدل والبيان، وضرب بالسيف والسنان"[٣] وهو القائل: " فإنا نزعم أنّا من جملة حزب الله وأنصار دينه وجنده، وكل جندى لا يخاطر بنفسه فليس بجندى "[٤] والقائل أيضا: "والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين ؛ ولذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمِر فى صفوف المشركين... ومن قال بأن التَّغرير بالنفوس لا يجوز، فقد بعُد عن الحق ونأى عن الصواب"[٥].

المغول: فظائع ودمار: لن يتسنى لنا إدراك الدور البارز والأثر البالغ لسلطان العلماء فى جهاد وصد الغزو المغولى، حتى نقف على حقيقة المغول، ومدى ما ألحقوه بالبشرية وديار الإسلام من أهوال ودمار.لا نعدم الدليل، على أن المغول اتصفوا بالقسوة والهمجية والتخلف، والتعطش لسفك دماء الأبرياء، وكانوا متعالين على غيرهم ، فيهم كبر، وفيهم غطرسة، ينظرون إلى من سواهم نظرة ملؤها الاحتقار والازدراء ، لهذا عدوا اعتداءهم وبغيهم على غيرهم من البشر شيئا غير منكر، بل غالوا فعدوه جزاء عادلا، ولقد بلغواالغاية فى

١- السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة،ج١ص٢١٩.
٢ السابق ،ج١ص٢٦٩.
٣- تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي: طبقات الشافعية الكبرى: المحقق: محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح الحلو-الناشر: فيصل عيسى البابي الحلبي سنة النشر: ١٣٨٣ - ١٩٦٤ -عدد المجلدات: ١٠، ج ٨، ص١١٧.
٤ -السابق ج ٨، ص١٢٧.
٥- السابق، ج ٨، ص١٢٢.

الوحشية، حين أشاعوا الخراب والدمار والقتل فى أراضى المسلمين [١]. حتى أن الجوينى المؤرخ الفارسى، ذكر أن البلادالإسلامية التى اكتسحها المغول، لم يبق بها واحد من ألف من سكانها الأصليين[٢].

دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة وعظمت الأنباءعن فظائع جيوش المغول، التى انهزمت أمامها، الجيوش الخوارزمية والأرمينية والكرجية والعباسية، وذُبِحت على أيديهم الملايين المسلمة.و جاءت الأنباء بتحرك قواتهم نحو البلاد الشامية، وعبورهم نهر الفرات لغزو بلاد الشام ؛ فاضطربت البلاد الشامية، وخاف الناس بدمشق خوفا كثيرا [٣].

ولما دهمت القوات المغولية البلاد الشامية، وسيطروا على ممالك الأمراء الأيوبيين فىدمشق وحلب وأكثربلاد الشام، ووصلوا إلى غزة جنوب فلسطين، عم الرعب والخوف سائر أرجاء البلاد، فهرب الناس باتجاه الاراضى المصرية،وسيطرعلى وعيهم حالة من الذعر والهلع، نتيجة ما شاهدوه من الأهوال، وبسبب ما حل بهم وببلادهم من الدمار والخراب والهلاك. وقد ملأ الرعب قلوب المصريين، بعد أنْ أصبح المغول على أبواب بلادهم، وجَبُن الناس عنهم.. حتى شاعت آنذاك كلمات تتداولت بين العامة والخاصة مؤداها: " إذا أخبرك أحد أن التتار يُهزمون فلا تصدقه " ولعل هذه المقولة تعكس إلى حد كبير، الأحوال النفسية التى عاشها المسلمون إبان الغزوالمغولى[٤].

وعندما جاءت رسل المغول حاملين إنذارا من زعيمهم هولاكو يفيض بالتهديد والوعيد، عقد السلطان سيف الدين قطز على الفور، مجلسا للحرب والمشورة فى دار السلطنة بقلعة الجبل،فى سنة سبع و خمسين وستمائة من الهجرة المشرفة، ودعا إليه الأمراء والقادة، وجمع فيه كبار العلماء والفقهاء والقضاةوالأعيان[٥]؛ وحضر القاضى بدر الدين السنجارى قاضى القضاة بالديار المصرية، و سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام ؛ وذلك لمشاورتهم فيما يُعتمد عليه فى أمر قتال التتار،من النظر فى مشروعية الحرب، وتعبئة الجنود، وإعلان النفير العام و وتحضير الأموال اللازمة ؛ لتأمين الأسلحة والذخائر[٦]،وتجهيز الجيش، ودفع رواتب الجند،وتفاوضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شىء من أموال العامة لمساعدة الجند، ونفقتها فى العساكر، وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم، وتجهيز كتائب المسلمين[٧]. و كان سلطان العلماء هو المشار إليه فى الكلام، وكان الاعتماد على فتواه وماذهب إليه من رأى[٨]

---

١ ـ محمد فتحى الشاعر: مصر قاهرة المغول، القاهرة، دار المعارف ، ص٣،.٣١.
٢ ـ د/ مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٩، ص.٩٣
٣ ـ السابق ، ص٩٢.
٤ـالسبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ،ص١,٩,٣ .
٥ـ السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م، ج١ ص٤,٣ .
٦ـ علي محمد محمد الصَّلاَّبِي : المغول (التتار) بين الإنتشار والإنكسار ـالناشر: الأندلس الجديدة ـ سنة النشر: ١٤٣٠ ـ ٢٠٠٩ عدد المجلدات: ١الطبعةالاولى ـ ص٣٤١.
٧ـابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى):البداية والنهاية، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى، ١٤,٨ ه – ١٩٨٨ م، ج١٣،ص٢١٦،٢١٥.
٨ ـ السابق ـج١٣ص٢١٦،٢١٥.

وكان حاصل فتواه، وخلاصة ما قاله: إنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على الإمام والمسلمين قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم لدفع الأعداء ؛ بشرط ألا يبقى فى بيت المال شىء، وتبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة، والآلات النفيسة،ونحوها من الزينة، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه، ويتساووا هم والعامة، وأما أخذ الأموال من العامة، معبقاء ما فى أيدى الجند من الأموال والآلآت الفاخرة فلا،إلا أنه إذا دهم العدو البلاد، وجب على الناس كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم[١].

انصاع سيف الدين قطز لفتوى العز بن عبد السلام على الفور، وبدأ بنفسه وباع كل ما يملك، وأمر الوزراء والأمراء والجند أن يفعلوا ذلك ؛ فانصاع الجميع وامتثلوا أمره، وأحضروا كافة ما يملكون من حُلِى نسائهم وأموالهم،بين يدى الشيخ، وكان الشيخ له عظمة عندهم وهيبة، بحيث لايستطيعون مخالفته، وأقسم كل واحد منهم أنه لا يملك شيئا فى الباطن، وذلك طواعية دون إرغام أو تهديد، وإنما إستجابة لرأى الشريعة. وجُمِعَت هذه الأموال وضُربَت سكاً ونقداً وأُنفقت فى تجهيز الجيش [٢]وهكذا نجد أن سلطان العلماء قام بدوركبير فى توعية المسلمين بالأخطار المحيطة بهم، وحث الناس على إجابة نداء الجهاد، وبيَّن لهم أحكام الله تعالى فى الجهاد، و مدى مشروعية الاستعانة بأموال العامة فى نفقة الجيش ؛ حتى تصبح حلالا طيبا، لا ظلم ولا عدوان فيها، مما جعل الناس يشعرون بقيمة العدل، التى أسهمت بدورها فى جعل روح جديدة من الأمل تسرى فى كيان الشعب، وذلك بفضل الفتوى الفذة التى أفتى بها الشيخ العز بن عبد السلام. ومن ثمَّ كانت من أهم أسباب انتصار المسلمين على المغول فى عين جالوت[٣].

٢-الشيخ الشاذلى : علي عبدالله (رحمه الله تعالى) [٤]

أ:الخطر الذى أحاط بمصر قلعة الإسلام :

ابتليت مصر في العصور الوسطى بحروب طاحنة، لم تكن مصر وحدها هي الهدف الأول فيها، بل كان هدفها الأول والأخير والإسلام وبلادهما، والذين أوقدوا نار هذه الحروب كانوا يتظاهرون بالدين، ويلبسون ملابس القديسين، وما كانوا إلا طليعة المستعمرين والغاصبين الذين ظهروا في القرن التاسع عشر بوجه سافر لا حياء فيه، وبأطماع بعيدة عن أية فكرة يمكن أن تجد لها أثرًا في باب الحق والعدالة، ولو كانت هذه الحروب دينية صرفة لوقفت عند حد "بيت المقدس" الذي كانوا يتنازعون الأمر فيه، ولا يزال التنازع قائمًا عليه حتى الآن.

ب:جهاد الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة :

---

١ ـ السابق ج١٣ص٢١٥، ٢١٦.

٢ ـ السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص١٩,.

٣ـ السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص١٩,.

٤ـ اسمه على، ولقبه تقى الدين، وكنيته أبو الحسن، وشهرته الشاذلى. كما أن اسم والده عبد الله، ووُلِدَ فى المغرب الأقصى، وبالتحديد فى قرية غُمَارة، وهى قريبة من مدينة سبتة بالمملكة المغربية الآن، ولد الشيخ الشاذلى فى عام ثلاث وتسعين وخمسمائة من الهجرة، نشأ في المغرب وأتم علومة الدينية من تفسير وحديث، وفقه وأصول، ونحو وبيان، على مذهب الإمام مالك، وهو المذهب الفقهى السائد وقتذاك فى شمال إفريقيا.

فعندما حضر الشيخ أبو الحسن الشاذلى عنه إلى الديار المصرية، تفاعل مع أهم مشكلة فى مصر، وهى وقتذاك مشكلة الغزو الصليبى لمصر، كان المصريون جميعا فى ذلك الوقت فى هم عظيم يترقبون نتائج الحرب بنفوس ملؤها الهلع والخوف، وكانت الأنظار كلها تتجه إلى مدينة المنصورة مقر الدفاع، ووجد علماء البلد أن من واجبهم أن لا يتخلفوا عن موضع الخطر، فسارعوا جميعا إلى مدينة المنصورة يثبتون من جأش الشعب، ويبعثون الحمية فى نفوس الجند المحاربين. ويثيرون فيهم روح الجهاد للذود عن الوطن وحريته، وكان فى مقدمة هؤلاء العلماءالاجلاء الشيخ أبو الحسن الشاذلى [١].

ومن الشواهد والأدلة التاريخية التى تؤكد لنا تواجد الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى ساحة معركة المنصورة ما قرره الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد حيث قال : "حضرت بالمنصورة مع الشيخ أبى الحسن وما رأيت أعرف بالله منه".[٢]

ويؤكد هذه الواقعة ما ذهب إليه الشيخ ابن عطاء الله السكندرى فى لطائف المنن، قال : أخبرنى الشيخ مكين الدين الأسمر قال : "حضرت فى المنصورة فى خيمة – فى معسكر القتال – فيها : سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، والشيخ مجد الدين على بن وهب، والشيخ محى الدين بن سراقة، والشيخ مجد الدين الأخميمى، والشيخ أبو الحسن الشاذلى، ورسالة القشيرى تقرأعليهم"[٣]

و قد أثار خروج الشيخ أبى الحسن الشاذلى لساحة الجهاد حماس المسلمين وغيرتهم،من أهل مصر فتابعه الآلاف يخرجون إلى كفاح الصليبين بأموالهم وأنفسهم، وقد اتخذت كل بلدة أو أسرة راية لها، تعرف بها، ويتجمع تحتها رجالها.[٤]

وشن المجاهدون غارات و هجمات على معسكرات الصليبيين،يأسرون مقاتليهم وينقلونهم إلى القاهرة، فأصابوهم بخسائر فادحة [٥] ويروي المؤرخ الصليبي "جوانفيل" (joinvill)"الذي رافق الحملة، أن المسلمين كانوا يتسللون أثناء الليل إلي المعسكر الصليبي ويقتلون الجنود وهم نيام ويهربون بروؤسهم [٦].

التصوف الاسلامي لايمنع الجهاد والدفاع عن الوطن والذين ينقدون الصوفية فيما يتعلق بالجهاد،عرضنا بعض الصفحات من تاريخ الصوفى المجاهد الشيخ أبى الحسن الشاذلى عنه بإزاء الجهاد وهناك علماء ومجاهدون كثير تربو من حضان التصوف الاسلامي وتاثرو به لامجال لذكرها هنا حتي لايطول البحث مثل عبدالقادرالجزائري و عمر المختار

---

١ -د/ جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية فى العصر الأسلامى،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، ص١٨٢.

٢ - السيوطى: تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، ص٣١.

٣- ابن عياد الشافعى: المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية - القاهرة، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤. م ص٥.

٤-محمد زكي إبراهيم: أبجدية التصوف الإسلامي القاهرة. مؤسسة إحياء التراث الصوفي،الطبعة.الخامسة،.ص٦.،٦١.

٥- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة، دار الكتب، القاهرة،١٩٩٦ م، ، ج١، ص ٤٤،٤٣٨.

٦- د/ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ص١٦.

وعز الدين القسام والامام حسن بن البنا ، وشيخ محمد عبده وكذلك سعيد النورسي رحمهم الله تعالى .

ومن خلال كتابتى لهذا البحث بعد توفيقي من الله سبحانه وتعالى توصلت الى عدة النتائج مايلي :

١- التصوف الاسلامي هو تصفية القلب من الامراض والادران كما قال الجنيد رحمه الله تعالى:**(التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة وإتباع الرسول في الشريعة** .[١].

٢- طريقة التصوف الاسلامي يكون باقتداء رسول الله واصحابه قولا وفعلا، واصحاب التصوف الاسلامي وعلماءهم ادركوا هذا الامر وسلكوا هذا المسلك وبينوه.

٣- تراث التصوف الاسلامي هو أتباع رسول الله ﷺ في الزهد والورع والتقوى ...الخ .

٤- الشخصية المسلمة هي من جعل الإسلام أساسا لتفكيره وأساسا لميوله ،واخلاقه وسولكه ، وافعاله .

٥- اثر التصوف الاسلامي يكون واضح على الفرد في حال تطبيقه من جميع نواحي الحياة وخاصة العبادة كما يقول الذنون المصري: (**العبودية :ان تكون أنت عبده في كل حال ، كما انه ربك في كل حال**).

٦- أن عصرنا هذا يعد بامتياز عصر الأزمات الأخلاقية؛ فهو عصر الشهوة والنزوة والمادة، والانحراف الخلقي والفراغ الروحي وقد أصبحت الحاجَة اليوم ملحة إلى التصوف الاسلامي وله أثر أيجابية على الشخصية الاسلامية في حياتنا اليومية .

١-كلاباذي: التعرف لمذاهب أهل التصوف،الأولى ،ص٣٤.

٧- التقوى والزهد والورع ...له جانب أيجابي على حياة المسلم وهذا مالمسناه في حياة المتصوفة ، سواء كان من اعمالهم او سلوكهم او أخلاقهم او من مؤلفاتهم .

٨- التصوف الاسلامي وخاصة في القرن الثالث الهجري وبعده كان العلماء المتصوف يقصدون به الاخلاق والدين ويقول الكلاباذي في (التعرف): «**فأول ما يلزمه -أي يَلْزَمُ السالك لطريق الله- علم آفات النفس، ومعرفتها، ورياضاتها، وتهذيب أخلاقها**»[1].

٩- من إيجابية التصوف الاسلامي انهم أمرو بالمعروف ونهوا عن المنكر والعلماء كثير من قام بهذا العمل كا واجب شرعي عليه .

١٠- علماء التصوف الاسلامي شاركوا في الجهاد وألامثلة كثيرة سردنا فيها بعضها.

١١- في حضن التصوف الاسلامي تربي علماء ودعاة كثيركالحسن البنا ،ومحمد عبده.الخ.

(وأخردعونا الحمدالله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد ﷺ) الباحث

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم .

٢-أبي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي:(ت٣٨٠): التعرف لمذاهب أهل التصوف ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ضبطه وعلق عليه وخرَّج آياته واحاديثه ،احمد شمس الدين طبعة الاولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٣- أبي عبد الرحمن السلمي:طبقات الصوفية، تحقيق د.أحمد شرباصي ،الطبعة الثاني - ١٩٩٨مكتبة الشعب .

٤- أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري:الرسالة القشيري – دار الكتب العلمية- بيروت-٢٠٠١م .

٥- ابن عياد الشافعى: المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية - القاهرة، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤.

٦- ابن تغرى بردى:(جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى): النجوم الزاهرة فى ملوك مصروالقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية،مركز تحقيق التراث، القاهرة .

٧- أبو الفداء:(الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن على): المختصر فى أخبار البشر، تحقيق د: محمد زينهم محمدعزب، الأستاذ، يحي سيد حسين، دار المعارف، القاهرة.

١- السابق: ص٨٧.

٨- أبو الفداء:(إسماعيل بن كثير الدمشقى:البداية والنهاية، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى، ١٤,٨ ه – ١٩٨٨ م، ج١٣.

٩- أبو نصر السراج الطوسي :(ت٣٧٨ه)،:اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،ط، ١٤٢٣ه/٢٠٠٢م.

١٠- أبو الحسن الندوي ربانية لا رهبانية :دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت، ط١، ٢٠٠٠م

١١- أبوإسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) الموافقات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٧، ٢٠٠٥م.

١٢- أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي :(٥٧٨ - ٦٦٠هـ) كتاب الفتاوى- المحقق :عبدالرحمن بن عبدالفتاح -الناشر :دار المعرفة - بيروت الطبعة :الأولى - ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٣- الدكتور:حسن الشافعي - .د. ابو اليزيد العجمي :في التصوف الإسلامي ، طبعة ، دار السلام الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

١٤- الدكتور: أبوالوفا الغنيمي التفتازاني : عن مدخل إلى التصوف الإسلامي، ، القاهرة: مكتبة الثقافة للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٧٦م.

١٥- الدكتور:مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٩.

١٦-الدكتور: جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية فى العصر الأسلامى،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١ .

١٧- الدكتور: قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٩٨.

١٨- الحسين بن مسعود البغوي المحقق /المترجم :علي محمد معوض و عادل أحمد عبدالموجود،الناشر :دار الكتب العلمية -الطبعة :الأولى -سنة الطبع١٤١٢ :هـ.

١٩-أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ج٨ – الناشر: السعادة - مصر نبذة عن الكتاب - :تصوير مكتبة الخانجي ودار الفكر- - ١٤١٦ ١٩٩٦طبعة: دار الفكر.

٢٠- السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٢١-الطالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ،ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد -تحقيق د.محمود إبراهيم ألرضواني .مكتبة دار التراث ،ط.الأولى ٢٠٠١-.

٢٢-الراغب الأصفهاني :المفردات في غريب القرآن: المحقق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز،الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، عدد المجلدات: ٢

٢٣-المقريزى:(تقى الدين أحمد بن على): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق د: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب، القاهرة،١٩٩٦ م.

٢٤- تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي :طبقات الشافعية الكبرى ،المحقق: محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح الحلو-الناشر: فيصل عيسى البابي الحلبي ، سنة النشر: ١٣٨٣ - ١٩٦٤-عدد المجلدات: ١٠، ج ٨.

٢٥- تقي الدين النبهاني :الشخصية الإسلامية ،دارالأمة ،للنشروالتوزيع، طبعة السادس : ٢٠٠٣.
٢٦- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لمحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - سنة النشر: ١٣٨٧ - ١٩٦ عدد المجلدات: ٢ رقم الطبعة١.

٢٧- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني -المحقق : المترجم :عزت عبيد الدعاس- الناشر :دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة :الأولى -سنة الطبع١٣٨٩ :هـ.

٢٨- سعيد حوى: تربيتنا الروحية، ، دار عمار، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

٢٩- شهاب الدين ابي حفص عمر السّهرودرى :(٥٣٩-٦٣٢):عوارف المعارف ،دار تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ،الدكتور محمود بن الشريف طبعة: دار المعارف .

٣٠- صديق بن حسن القنوجي - القنوجي أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٧٨تحقيق : عبد الجبار زكارعدد الأجزاء : ٣

٣١-عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج :صفة الصفو- دار المعرفة – بيروت- الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ – ١٩٧٩ تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي عدد الأجزاء : ٣ج.

٣٢-علي بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات الجرجاني ، دار الكتاب العربي بيروت،

الطبعة الأولى ، ١٤٠٥تحقيق : إبراهيم الأبياري،عدد الأجزاء ١.

٣٣- علي محمد محمد الصَّلاَّبِي :المغول (التتار) بين الإنتشار والإنكسار -الناشر: الأندلس الجديدة- سنة النشر: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ عدد المجلدات: ١الطبعةالاولى .

٣٤- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب،دار صادر – بيروت،الطبعة الأولى ،عددالاجزاء١٥ .

٣٥- محمد بن علي بن دقيق العيد :المام بأحاديث الأحكام - :المحقق / المترجم :حسين إسماعيل الجمل الناشر :دار المعراج - الرياض -الطبعة :الأولى -سنة الطبعة١٤١٤ :هـ .

٣٦-محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله :مدارج السالكين -الناشر : دار الكتاب العربي ،بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣تحقيق : محمد حامد الفقي عدد الأجزاء : ٣

٣٧- محمد ناصر الدين الألباني :أجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة ، الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت -الطبعة :الثانية -سنة الطبعة ١٤٠٠هـ .

٣٨- محمد ناصر الدين الألباني ضعيف الترغيب والترهيب - :المحقق / المترجم :بدون الناشر :مكتبة المعارف - الرياض -الطبعة :الأولى -سنة الطبع :١٤٢١هـ.

٣٩- محمد زكي إبراهيم: أبجدية التصوف الإسلامي القاهرة. مؤسسة إحياء التراث الصوفي،الطبعة.الخامسة.

٤٠- محمد فتحى الشاعر: مصر قاهرة المغول، القاهرة، دار المعارف .

٤١- محمد بن إسماعيل البخاري :الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه ، المحقق / المترجم :محب الدين الخطيب الناشر :المكتبة السلفية - القاهرة الطبعة :الأولى - سنة الطبعة ١٤٠٠هـ.

٤٢- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الصحيح - سنن الترمذي -المحقق - المترجم :أحمد بن محمد شاكر الناشر :دار الكتب العلمية -الطبعة :بدون .

٤٣- محمد بن مفلح (الجد) المحقق - المترجم :شعيب الأرناؤوط و عمر القيام الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت ،الطبعة :الأولى سنة الطبع :١٤١٦هـ .

٤٣- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :صحيح مسلم :(المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ -المحقق : المترجم :محمد فؤاد عبدالباقي الناشر :دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه -الطبعة :الأولى -١٣٧٤هـ

المحتويات

الموضوع
الصفحة
مقدمة ٣-٤
تمهيد..... ٥
الباب الاول
الفصل الأول
تعريف التصوف الإسلامي ٧-٨
وإيجابية الشخصية المسلمة ٧-٨
الفصل الثاني
شخصية الرسول محمد ﷺ في التراث الصوفي.....٩-١٠
الفصل الثالث
العبادة عند الصوفية وأثرها على الفرد.....١١-١٢-١٣
الفصل الرابع
حاجة المجتمع والفرد المعاصر للتربية الصوفية.....١٤-١٥-١٦
الباب الثاني
الفصل الأول
التقوى والورع كنموذج واثرهما على الشخصية المسلمة.....١٧-١٨ -١٩
الفصل الثاني
الأخلاق والسلوك عند الصوفية ٢١-٢٢
الفصل الثالث
إيجابية التصوف في صناعة العلماءوالمجاهدين.....٢٣-٢٤-٢٥
الشيخ الشاذلى : علي عبدالله (رحمه الله تعالى) ٢٦-٢٧
النتائج البحث مايلي ٢٨
قائمة المصادر والمراجع.....٢٩-٣٠- ٣١ -٣٢

المحتويات.....٣٣